صفات الأصوات العربية ومصلحاتها

الطاهر محمد المدني

الملخص

هذا البحث يتناول صفات الأصوات العربية، مصطلحاتها، مع الإفادة من الدراسات الصوتية المعاصرة عند علماء الأصوات الغربيين، وذلك بمقارنة ما توصلوا إليه من النتائج بما هو موروث عن اللغويين العرب، في الصفات التي أطلقوها على الأصوات، والمصطلحات التي أطلقوها عليها، وتحليل الأسباب التي جعلت كل من اللغويين العرب القدماء، وعلماء الأصوات الغربيين يدرجون أصوات محددة تحت صفة معينة، و قام البحث على الدراسة الصفات التالية: الشدّة ، والرخاوة، والتوسط، و الانحراف، والأنفية، التكرار .

تمهيد

لدراسة صفات الأصوات العربية ومصطلحاتها رأيت أنْ أتناولها على النحو التالي:

أولا: الشدّة:

الشدة عند اللغويين العرب القدامى:

يقول سيبويه: " ومن الحروف الشديدة وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء، وذلك أنّك لو قلت "الحجّ" ثم مددت صوتك، لم يَجْرِ ذلك"(1) وعند ابن جني الحروف الشديدة هي ذات الحروف عند سيبويه غير أن ابن جني كان أوضح في حديثه عن معني الشدّة بقوله:" ومعني الشديد:أنّه الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، ألا ترى أنّك لو قلت: الحقّ، والشطّ، ثم رُمت مدّ الصوت في القاف والطاء لكان ذلك ممتنعاً "(2)، ويتفق علما القراءات القرآنية والتجويد مع اللغويين العرب القدامى في الحروف الشديدة، وفي تعريف الشدّة، يقول ابن الجزري :"ومعني الحرف الشديد: إنّه حرف اشتد لزومه لموضعه، وقوي فيه حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظ به "(3).

وتُعرف الشدّة عند العلماء الغربيين بعدة مصطلحات؛ فالأصوات الشديدة عند فندريس تُعرف بالانفجارية، وإنما سميت بذلك بالنظر إلى طريقة حدوثها. يقول فندريس:"وفي الطرف الآخر توجد السواكن الانفجارية (p,t,k) وهذه السواكن ليست إلا نوعاً من الضوضاء وتقوم على أن الهواء يتوقف مؤقتاً بفعل عقبه تصادفه لدي عبوره، والعقبة توجد في الفم على وجه العموم، وتكوّنها الشفتان أحياناً وطرف اللسان تارةً وظهر اللسان تارةً أخرى "(4).

والأصوات الشديدة عند دي سوسير نجدها فيما أسماه "الانفراج الصفري"، وهو وصف للمرحلة الأولى من مراحل إنتاج هذه الأصوات، وأطلق على الأصوات الشديدة "الأصوات الإنسدادية". يقول: " تضم هذه الطبقة كل الفونيمات التي يؤدي إليها الانغلاق التام والانسداد والكتيم الآني للتجويف الفموي... وبحسب مخارج النطق، فنحن نميز نماذج ثلاثة رئيسية للإنسدادات؛ وهي النموذج الشفوي...والنموذج السني ... والنموذج الشراعي"(5).وتُعرف عند مالمبرج بالوقفيات، أو الوقفات؛ إذ يقول :"تعرف السواكن اللحظية بالوقفيات" وأحياناً بالانفجارية(plosive explosives) لأن أهم مرحلة في تكوينها هو الغلق اللحظي لممر الهواء"(6) .

أمّا جان كانتينو، فيتناولها بحسب درجة الانفتاح، يقول :" الحروف التي الانفتاح فيها معدوم أي التي يكون جهاز التصويت منغلقاً تماماً عند النطق بها وتسمى الحـروف الشديدة (occlusives)..(7) ويشير برجستراسر إلى الاختلاف في المصطلح الصوتي بين علماء اللغة العرب,وبين الغربيين بقوله"ولكن بين تقسيمهم و تقسيمنا فرقان، الأول لهم اصطلاحات غير اصطلاحاتنا أصل بعضها غامض ..وشديد بمعنى أني ..." (8) .

أمّا علماء الأصوات العرب المعاصرون فإن المصطلحات التي يطلقونها على الأصوات الشديدة إمّا أن تكون من التراث اللغوي العربي القديم، وإمّا أن تكون مأخوذة من علماء الأصوات الغربيين، وقبل ذكر آرائهم في موضوع الشدة نحاول تعداد مصطلحات الغربيين على ما يعرف عند اللغويين العرب القدامى بالشدة .

فعلماء اللغة العرب القدامى يتفقون على مصطلح واحد وهو الشدّة، والمصطلحات التي تقابله عند الغربيين عديدة، ففندريس يطلق عليها السواكن الانفجارية، وهي عند دي سوسير : الأصوات الانسدادية، وعند مالمبرج: الوقفيات، الانفجارية، اللحظية، وعند كانتينو الحروف الشديدة، وعند برجستراسر الصوت الشديد أو الآني .

والذي نلحظه عند هؤلاء الغربيين في إطلاقهم لهذه المصطلحات المتعددة لمفهوم الشدة، أو الأصوات الشديدة إنّما يرجع إلى مراحل انتاج الصوت الشديد؛ ففندريس عندما يطلق عليها انفجارية، فالانفجار مرحلة من مراحل عملية حدوث الصوت الشديد، ودي سوسير الذي يطلق عليها انسدادية، فالانسداد مرحلة قبل حدوث الصوت، أمّا ما جاء عند مالمبرج الوقفية الانفجارية واللحظية، فهو جمع للمراحل التي يتكوّن منها الصوت الشديد، وأمّا برجستراسر فقد نظر إلى زمن حدوث

كلية الآداب والعلوم-غات- جامعة سبها

الصوت، فأطلق عليه مصطلح آنية، وشذ عنهم في الاصطلاح كانتينو الذي استخدم مصطلح الشدّة، وربما بسبب اتصال دراسته بعلم الأصوات العربية .

والذي ينبغي التنبه إليه هو أن جُلّ هؤلاء العلماء كانت دراستهم للأصوات الشديدة مبنية على وصف المراحل التي يتكون خلالها الصوت الشديد، ولا يختلف وصفهم عن وصف العالم العربي ابن سينا بقوله :

" والحروف بعضها في الحقيقة مفردة، وحدوثها من حبسات تامة للصوت أو الهواء الفاعل للصوت، يتبعها إطلاق دفعة "(9)

أما علماء اللغة والأصوات العرب المعاصرون، فقد جاءت مصطلحاتهم عن الشدة كما يلي :

تمام حسان يطلق عليها الأصوات الشديدة، وذلك في جدول الأصوات العربية (10)، أحمد مختار عمر وصفها وفقاً لكيفية حدوثها بقوله :" قفل تام ثم الانفتاح : وينتج عند هذا التعديل ما يسمى بالأصوات الوقفية (stops)، وتسمى كذلك انفجارية (plesives) أو (occlusives)، كما تسمى اللحظية (momentary)..."(11)، ويطلق عليها كمال محمد بشر :" الأصوات الانفجارية " مع وصفه لكيفية حدوث كل صوت منها (12)، ويطلق عليها عبد القادر عبد الجليل :الأصوات الانفجارية ويقول :" وتسمى أيضا بالأصوات الوقفية (stops) باعتبار التوقف، أو الانحباسية لكمية الهواء التي يصنع منها الصوت وتسمى (plosive) باعتبار الانفجار المصاحب لعملية الإطلاق " (13) وتسمى عند محمد المنصف القماطي بالشديدة؛ إذ يرى أن الرخاوة تبدو في " صفير الصوت واحتكاكه بينما الشدة في انفجاره " (14)، ولم ترد هذه المقابلة بين المصطلحات التي عند الأصواتيين العرب المعاصرين والأصواتيين الغربيين وبين مصطلح الشدة عند قدماء اللغويين العرب " في مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي " وهي رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه اكتفت صاحبتها بالقول بأن " الشديد =لانفجاري (15) .

الأصوات الشديدة بين القدماء والمحدثين :

يتفق علماء اللغة القدماء أمثال سيبويه وابن الجني والمبرد والزمخشري والزجاجي، من النحويين في الحروف الشديدة، وسار على نهجهم علماء القراءات والتجويد كابن الجزري ومكي بن طالب وعبد المجيد الخطيب وعبد الودود الزراري، وهي ذات الحروف عند ابن سينا من الفلاسفة، باستثناء أصحاب المعاجم ، فهي كما ذكرها سيبويه " الهمزة ، القاف الكاف ، الجيم ، الطاء والتاء ، الدال ، الباء " .

أما علماء الأصوات العرب المعاصرون، فقد اختلفوا مع اللغويين العرب القدامى في ذكرهم " للجيم " ضمن الأصوات الشديدة فهي عندهم " مركب " فللأصوات الشديدة عندهم كما ذكرها تمام حسان " ب ، ض ، د ، ط ، ق ، ت ، ك ، ء " (16)، وهي كذلك عند أحمد مختار عمر ، وكمال بشر ، ومحمد القماطي ، عبد القادر عبد الجليل ، ومحمد مصطفي رضوان وغيرهم.

والملاحظ في الأصوات الشديدة كما حددها الأصواتيون العرب المعاصرون بمقارنتها بما جاء عند اللغويين العرب القدامى ما يلي:

أنّها أسقطت الجيم من الأصوات الشديدة.

أثبتت الضاد في الأصوات الشديدة خلافاً للقدماء الذين عدّوها من الأصوات الرخوة كما سيأتي.

أما الجيم عند المعاصرين فهو صوت(مركب)، اعتماداً على الكيفية التي يحدث بها الحرف، ففي النطق به لا يتم الانفراج بسرعة في الموضع الذي يحدث فيه حرف الجيم كما في الأصوات الشديدة، بل نجد انفصال العضوين يتم ببطء فتتكون بذلك مرحلة بين الانسداد التام الذي هو من صفات الأصوات الشديدة، والانفراج الذي هو صفة للأصوات الرخوة أو الاحتكاكية (17)"، وهذه المرحلة تسمح للهواء أن يحتك بالعضوين المتباعدين ببطء احتكاكاً يشبه بما يصاحب الأصوات الرخوة؛ لذا فإن هذا الصوت يجمع بين الشدة والرخاوة، بمعنى أنّه يبدأ شديداً وينتهي رخواً احتكاكياً، ولهذا يسمي بالصوت المزدوج، ويسمي بالصوت المزجي أو المركب، وهو في العربية صوت الجيم"(18) ويبدو هذا سبب كاف يجعل اللغويين القدماء يضمون "الجيم" إلى الأصوات الشديدة، وإذا أضفنا إليه ما جاء عند بعض اللغويين المعاصرين في وصفها بالشدّة مرة وبالرّخاوة مرة أخرى(19)، وبوجود ضربين أو أكثر من الجيم في الاستعمال اللغوي المعاصر في اللهجات العربية؛ كالجيم القاهرية التي هي انفجارية، والجيم الشامية المعطشة الاحتكاكية(20)؛ فإنّ هذا يعزز ما سعوا إليه، أمّا الدراسات الصوتية الغربية، فقد كان اهتمامها في الغالب ينصب على وصف الكيفية التي تحدث بها أصوات أي اللغة، لذلك لا نجد عندهم حديثا مباشراً عن الجيم العربية، بل نجد وصفاً عاماً لصوت ممكن الحدوث في أي لغة يطلقون عليه الصوت المركب (21)، ويؤكد علم الأصوات الاكوستيكي (الفيزيائي) من خلال الصور الطيفية أنّ لصوت الجيم مواصفات الأصوات الوقفية، فهو يظهر على هيئة فجوات؛ الانقطاع السلسة الكلامية بسبب توقف تيار الهواء المندفع لحظة، ثم اندفاعه؛ ليظهر في الصورة الطيفية على هيئة فرقعة، وهذا الوصف ينطبق تماما على صوت الجيم، وهذا ما تثبته الصورة الطيفية المرفقة"22"

أمّا الضّاد فإننا نجدها عند علماء اللغة العرب القدامى صوتا رخواً مطبقاً جانبياً يقول سيبويه :"لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً والصاد سيناً ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس من موضعها شي"(23) ويتفق ابن جني مع الخليل و سيبويه في مخرج الضاد الذي يرى أنّه يبدأ حيث شجر اللسان " والجيم والشين والضاد شجرية لأنّ مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم " (24)، ويضيف ابن جني جانباً هامّاً في كيفية حدوث صوت الضاد بقوله: " فإنْ شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإنْ شئت من الجانب الأيسر " (25) معبراً بذلك عن صفة الجانبية لصوت الضاد مثل اللام، ويتبعهم في هذا المذهب علماء القراءات القرآنية والتجويد؛ إذ يصفها بعضهم بأنّها مستطيلة ذلك لأنّها " استطالت على الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام؛ وذلك لما فيها من قوة الجهر والأطباق والاستعلاء، فقويت واستطالت في الخروج من مخرجها " (26).

هذه نظرة اللغويين العرب القدامى إلى صوت الضاد مخرجاً وصفةً أمّا اللغويون المعاصرون ، فالضاد عندهم تحدث بالتصاق طرف اللسان بالأسنان العليا واللثة، وارتفاع مؤخر اللسان تجاه الطبق مع انسداد المجرى الأنفي واهتزاز الأوتار الصوتية (27).

ومن خلال هذا نستطيع القول إنّ الضاد عند المعاصرين صوت أسناني لثوي مطبق مفخم يختلف عمّا ورد عند القدامى من اللغويين العرب من جوانب عدّة، وكانت تلك الجوانب محل نقاش ودراسة عند العديد من

الاصواتيين المعاصرين (28) يمكن أن يستخلص منها ما يلي :

- إنّ صوت الضاد المعاصر قد تطور عن القديم لوجود صفات مشتركة بينه وبين القديم وهي:
- إنّ صوت الضاد مجهور مفخم عند المعاصرين والقدامى.
- إنّ صوت الضاد القديم ما تزال آثاره موجودة في بعض اللهجات العربية في العصر الحديث يقول محمد رضوان :" ولعل ما ينطق الناس به في بعض البلاد العربية كالعراق والكويت أثر من آثارها أو تطور صوتي لها " (29)، ويرجح عبدالقادر عبدالجليل أن النطق العراقي الحالي للضاد قريب من تلك الضاد القديمة (30)، وهذا ما يمكننا أن نعتبره بقايا من الضاد القديمة .
- يقول جان كانتينو :"وقد اضمحل أيضا حرف الضاد الذي كان منعزلاً ذلك بان اختلط بالظاء، فانعدم بذلك وجود حرف ذي زائدة انحرافية في نظام العربية " (31)، والمستفاد من نص جان كانتينو قوله : (وقد اضمحل ...)؛ إذ تعني الاختفاء بالتدريج فربما بقي منه شئ .

مما تقدم نستطيع القول إنّ صوت الضاد العربي القديم ذو صفات مميزة هي :

- علاقته باللام في الانحراف الذي وصفه به بعض المعاصرين، والذي يشترك فيه مع اللام (32) و يشتركان عند القدامى في كونهما جانبيين كما أوردنا .

أشارت الدراسات الصوتية العاصرة إلى وجود علاقة بين الضاد القديمة وكل من (الظاء) و (اللام) إذ تنطق بصوت يقع بينها (33)

- صعوبة تمثل صوت الضاد نطقاً في القديم والحديث، ففي القديم يقول ابن يعيش :" والضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم فربما أخرجوها ظاءً ... وربما راموا إخراجها من مخرجها فلم يتأت لهم "(34)، ويعني بذلك إنّ بعضاً من الناس يهربون من النطق بالضاد لصعوبة ذلك عليهم، كما نبّه بعض علماء القراءات إلى هذه الصعوبة، واختلاف الناس في النطق به بقوله :" وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله ... وقل من يحسنه " (35)، أمّا في الدراسة الحديثة، فقد ذكر عبدالقادر عبد الجليل في جانب من دراسته للأصوات تطور صوت الضاد، وإبداله عند العرب (36)، وذكر برجستراسر إن صوت الضاد العربي القديم غريب مشيراً بذلك إلى صعوبة نطقه لدرجة قوله :" ويغلب على ظني أنّ النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحدٍ من العرب " (37) ويؤكد الأصواتيون العرب المعاصرون اعتياص هذا الصوت على النطق، يقول تمام حسان بعد وصفه لكيفية نطق الضاد القديمة :" ... وهذه الأوصاف مجتمعة تشير إلى ضاد غير شبيهة بما ننطق به في الوقت الحاضر، وقد حاولنا تمثيل نطق هذه الضاد لطلبة كلية دار العلوم ..." (38) إذن هم حاولوا نطقها، ولم يتمكنوا من ذلك، ويقول محمد رضوان:ونحن نشعر بصعوبة بالغة في نطق هذه الضاد ..." (39) وهذه يوصلنا إلى القول :بأن صوت الضاد العربي القديم صعب تمثله ولا ينفي هذا وجود بعض اثأر منه في اللهجات العربية المعاصرة .

ثانياً الرخاوة :

وهي صفة تقابل الشدّة، فإذا كانت الشدّة تعني منع الصوت أن يجري، والصوت الشديد لا يمكن مدّه بذاته كما يشير سيبويه بقوله :" ومنها الرِّخوة وهي : الهاء ، والحاء ، والغين ، والخاء والسين ، والصاد ، والزاي ، والشين ، والظاء ، والثاء ، والذال ، والفاء، وذلك إذا قلت (الطس) و (انقض) وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت " (40)، وسار على خطاه ابن جني دون أي تغير في تعريف الرخاوة، وتحديد الأصوات الرخوة "(41)، و ذهب النحاة وعلماء القراءات القرآنية والتجويد على خطا سيبويه(42)، ويطلق عليها ابن سينا الحروف المركبة بعد أن عدّد الأصوات الشديدة في قولة :"" ثم بعد ذلك مركبة تحدث عن حبسات غير تامة، بل يكون الحبس مع الإطلاق معاً، ولك أن تعدها عداً "(43) ونلحظ من قوله هذا أنه يرى سائر الحروف ماعدا الشديدة مركباً، وإن كان هذا الوصف ينطبق علي الصوت المركب الذي اشرنا إليه في هذا البحث وهو صوت (الجيم) في العربية، إلا أن إطلاق الحابسات في الصوت المركب الذي اشرنا أليه يتم ببطء، ويري ابن سينا أنّ الحبس والإطلاق هنا يتمان معاً؛ أي أنّ هذه الحروف " تمتد في الزمن الذي يجتمع فيه الحبس مع الإطلاق "(44)، والذي لاشك فيه هو إن بعضاً من صفة الصوت المركب هي الرخاوة فهي تحدث عن احتكاك الهواء بالأجزاء المشتركة في احدث الصوت، وهذا موضع الدقة في وصف ابن سينا.

1- والرخاوة عند الاصواتيين العرب المعاصرين والغربيين واحدة، ويطلقون علي الأصوات الرخوة مصطلح (الاحتكاكية) بالإضافة إلي مصطلح الرخوة، يعتمدون في ذلك على وصف الطريقة التي يتم بها إحداث الصوت الرخو، وإن اختلفوا في حثيثية الوصف، ففندريس ينظر إليها من حيث الإغلاق قائلا ً لنتصور أولاً أن الإغلاق غير محكم وأنه يسمح للهواء بمنفذ مهما كان ضيّقاً، فبدلاً من أنْ نحصل على انفجاري مؤقت، فإننا نحصل على رخو أو احتكاكي "(45)، بينما ينظر دي سوسير إلى الأصوات عامة من حيث كيفية حدوثها على إنها مجموعة من الانفراجات، تبدأ بالانفراج الصفر (الأصوات الشديدة)، ثم الانفراج الأول، وهو الاحتكاكي أو العصارات (46)، ولا يخالف أغلب الاصواتيون الغربيون ما أوردنا من حيث وصف الصوت الرخو بأنه احتكاكي، وإنْ اختلفت الطريق الذي سلكه الأصواتي للوصول إليه (47)، ونكرر ما ذكرناه في الحديث عن الأصوات الشديدة

بأن اهتمام هؤلاء الغربيين ينصب على كيفية حدوث الصوت عامة دون النظر إلى لغة بعينها، فهو صوت ممكن الحدوث فحسب .

أما الأصواتيون العرب المعاصرون، فلم يختلفوا عن علماء الأصوات الغربيين، أوعن اللغويين العرب القدامى إلا في صوت واحد يرى اللغويين القدامى أنه بين الرخوة والشديدة (48)، والأصوات الرخوة عند المعاصرين العرب هي " ظ ، غ ، ذ ، ز ، ع ، ص ، خ ، ف ، ث ، س ، ش ، ح ، ه " (49) نلاحظ ذكرهم لصوت (العين) ضمن الأصوات الرخوة؛ إذا كيف فسّر المعاصرون ما ذهب إليه بعض القدامى إن (العين) بين الرخوة والشديدة ؟ فقد أثار جون كانتينو الشك فيما ذكره سيبويه وابن جني ، وابن يعيش عن (العين) بأنه بين الرخوة والشديدة؛ أي متوسط عندما قارن بين تصنيف الأصوات العربية عند القدماء، وبين ما جاء في الدرس الصوتي المعاصر عند الغربيين، بعد إن ذكر اتفاق ترتيب الأصوات العربية مع ما جاء عند المعاصرين قائلا :" فلا يبقى في مجال الشك في صحة هذا الترتيب إلا فيما يتعلق بحرف العين ..." (50)، وقد وقف الأصواتيون العرب المعاصرون عند صوت العين فتدارسوه ، وتمثلت آراءهم في قول عبدالقادر عبدالجليل :" تمثل العين مشكلة واضحة المعالم في الكشف عن مكوناتها الصوتية والخصائص التي لم تزل يحيطها الغموض و الإبهام " (51)، ويرد ما ذهب إليه القدامى في توسط العين إلى قوة الوضوح السمعي فيها لشبهها بالحركات (الأصوات الصائتة)، ولقلة ما يُسمع لها من احتكاك أثناء عملية الصنع . ولتفسير الوضوح السمعي لصوت العين نورد أقوال الفارابي – وهي تنضوي تحت علم الأصوات الفيزيائي – على النحو التالي :

- ...إذا دفع الإنسان الهواء من رئتيه في مجرى الصوت وصدم الهواء أجزاء المجرى " حدث حينئذ نغم فإذا ضيق مسلكه كانت النغمة أحد، وإذا أوسع كانت أثقل " (52) ينطق هذا الوصف على صوت العين، فهو صوت احتكاكي كما اشرنا.

- يضيف الفارابي :" وكذلك إن صدم الهواء السالك أو بعض أجزائه جزءا من الحلق أقرب إلى القوة التي تدفع ذلك الهواء كان الصوت أحدّ " (53).

بالنظر فيما تقدمه الدراسات الصوتية المعاصرة عن موضع العين في القناة الصوتية تبين أن طول القناة الصوتية عند الإنسان 17.5سم وموضع أصوات الحلق فيها ما بين 3 أو 4 سم"67" أذن هي قريبة من مصدر القوة الدافعة، ومن ثم فهي أحدّ من الأصوات التي تبعد عنها في مجرى القناة الصوتية، كما يعني هذا أن العين تقع ضمن أصوات الرنين الأول مما يعطيها وضوحا سمعيا أكثر وفقا لنظرية الرنينات "54" .

- ويؤكد الفارابي وجود معطيات أخرى لها أثر كبير في حدّة الصوت أو ثقله، فيقول :" وكذلك إن كانت القوة الدافعة أقوى أو اضعف، أو كان سلوكه على قعر الحلق وهو أصلب أو ألين، أو أخشن أو أشد ملاسة، كانت النغمة أمّا بأحدهما فأحد و بالآخر فأثقل " (55)

ثالثا: التوسط :

لم يتم لي الوقوف على تعريف للأصوات المتوسطة عند القدماء، ولكني وجدت عند عبدالقادر عبدالجليل تعريفاً لها منسوباً إلى ابن العصفور الإشبيلي، وهو كما يلي :" هو الذي لا يجري الصوت في موضعه عند الوقف، ولكنه تعرض له أعراض توجب خروج الصوت باتصاله بغير موضعه" (56)، يجمع ابن جني هذه الأصوات في قوله :" والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضا، وهي الألف ، والعين والياء ، واللام، والنون ، والراء، والميم، و الواو، ويجمع في لفظ لم (يرعونا) " (57)، وإنّما قدمنا كلام ابن جني في هذه الفقرة لأنه جمع الحروف التي بين الشديدة والرخوة، وهي لا تختلف عمّا ذكره سيبويه، الذى ذكرها مفصلة بحسب ما لكل حرف منها من صفة مستقلة، ولم يصف منها إلا العين بالمتوسطة، ويفهم من شرحه للأصوات الأخرى بأنها متوسطة (58) وهو – ما يعمل به علماء الأصوات المعاصرون – واتّبع علماءُ القراءات والتجويد سيبويه في أغلب الأصوات التي وصفها بالمتوسطة واختلفوا معه في إثبات (الألف ، و الواو ، والياء) في الأصوات المتوسطة؛ إذ نجد ابن الجزري يثبتها (59) ونجد عبدا لودود الخطيب (60) لا يثبتانها، وإنّما ذكر أن الحروف المتوسطة مجموعة في (لن عمر) وهي خمسة أحرف، وبهذا يكون قد سقط منها الواو والياء والألف التي وردت في (لم يرعونا) و الأصواتيون المعاصرون على انقسام فيما يتعلق بضم انصاف الحركات إلى الأصوات المتوسطة، فمنهم من يرى أنّه من الخطأ ضمها إلى الأصوات المتوسطة (61)، لاعتبار مفاده إنّ الألف والواو والياء أصوات طويلة، أو حركات طويلة، ولا يجوز ضم الحركات إلى الصوامت، ويرى بعضهم أن الواو والياء على ضربين، ففي الأول تكونان حركتين في نحو أدعو وارمي، ولا يجوز عدهما صامتين في هذه الحال، وفي الثاني تكونان صامتين في ولد و يلد(62)، وفي الحالة الثانية يرون أنّه من الخطأ ضم ألاف أليهما (63)، وعلة القدامى في جعل هذه الأصوات؛ أي الألف والواو والياء ضمن الأصوات المتوسطة هي اشتراكها معها في قوة الأسماع والجهر، ويذهب بعضهم إلى أنّ توسط الأصوات ينبغي أنْ ينظر إليه بين الصوامت والحركات لا بين الشديدة والرخوة (64)، ولعل ما جاء عند الفارابي في هذا الموضوع يرد على هذا المسعى؛ إذ قسم الأصوات إلى مصوتة (الحركات)، وغير مصوتة (الصوامت)، فالمصوتة هي الألف والواو والياء وغيرها من الحروف غير مصوت، ومن غير المصوتة ما يتصف بالتمدد وهي اللام والميم والنون والهمزة والعين والزاي، ويجمع الفارابي بين اللام والميم والنون (الحروف الممدودة)، وأصوات المدّ (الألف والواو والياء) فيصفها بأنّها ذات صفات مشتركة في إشباع مسموع النغم (65)؛ أي في حدّة الصوت؛ أذن بعض الأصوات غير المصوتة يتصف بميزة التمدد.

ويبقى من الأصوات المتوسطة صوت العين وقد تحدثنا عنه عند الحديث عن الأصوات الرخوة

رابعا: الصوت المنحرف :

يقول سيبويه عن الصوت المنحرف " ...هو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام، وإنْ شئت مددت فيها الصوت، وليس كالرخو؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك " (66)، وتختلف نظرة المعاصرين إلى صوت اللام مركزين على كيفية إنتاجه؛ إذ يطلق عليه برتيل مالمبرج الصوت الجانبي (67)، ويطلق عليه دى سو سير-مع الراء – الحروف المائعة، ولا غرابة في اجتماع الراء واللام فقد ذكر سيبويه ومن جاء بعده أن الراء تنحرف إلى اللام بمعني توجد صفة مشتركة بينهما(68) .

خامسا: الأصوات الأنفية:

ولم يطلق عليها سيبويه أي لقب، بل وصفها بقوله :" ومنها صوت شديد يجري معه الصوت لأن ذالك الصوت غنّة من الأنف فإنّما تخرجه من أنفك واللسان لازم مكانه؛ لأنك لو أمسكت انفك لم يجر معه الصوت، وهو النون وكذالك الميم "(69)، وتتفق الدراسات الصوتية المعاصرة مع سيبويه في هذا الوصف ومنها جاء إطلاق اسم الأنفية علي هذا الأصوات(70).

سادسا: الأصوات المكررة:

ويطلق عليها الترددية أيضاً، والصوت المكرر عند سيبويه هو : "حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره، وانحرافه الي اللام، فتجافي للصوت كالرخوة ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء"(71)، ولا خلاف بين القدامى والمعاصرون من الاصواتيين في تكرار صوت الراء ولا في مخرجه.

في هذا المقام تجدر الإشارة الي ملاحظة ذات أهمية في الدرس الصوتي وهي غياب توضيف نتائج علم الأصوات الفيزيائي في تفسير الظواهر الصوتية النطقية، فلم تحفل أغلب الدراسات الصوتية المعاصرة بها سوي ما تقدمه في مقدماتها عند تصنيف العلوم التي تهتم بدراسة الأصوات أو بعض الإشارات – علي استحياء- في ثنايا علم الأصوات النطقي، و من الملاحظات ذات الأهمية إهمال الدراسات الصوتية العربية لجهود العلماء العرب أمثال ابن سينا والفارابي وإخوان الصفا في علم الأصوات الفيزيائي والتي تضاهي ما جاء عند نظرائهم الغربيين علي الرغم من اختلاف العصور و الإمكانيات وقد كشف عنها يوسف الهليس في بحث له أغلب الظن مازال مخطوطاً.

الخاتمة:

تم في هذه الدراسة استخلاص مجموعة من النتائج هي:

أولاً: في المصطلحات

تعددت مصطلحات علماء الأصوات الغربيين التي أطلقوها علي ظاهرة الشدّة، و من خلال تتبعها وجدنا أن هذا التعدد إنّما مرجعه إلى الزاوية التي نظر خلالها كل عالم إلى موضوع الشدّة، حيث اتخاذه مرحلة من مراحل انتاج الصوت الشديد وإطلاقها مصطلحا عليه .

ثانيا: في الأصوات الشديدة والرخوة

اختلف علماء الأصوات الغربيون مع اللغويين العرب القدامى في :

1. عدّ اللغويون العرب القدامى صوت(الجيم) صوتاً شديداً بينما عدّه المعاصرون صوتاً مركباً ومن خلال دراسته تبين أن صوت الجيم يجمع صفتي الشدّة والرخاوة، وقد أظهر علم الأصوات الفيزيائي من خلال الصور الطيفية تشابهاً شديداً بين الجيم والأصوات الشديدة، كما أنّ لصوت الجيم صور نطقية عدة في اللهجات العربية المعاصرة ومنها من ينطق به شديداً
2. عدّ اللغويون العرب القدامى صوت (الضاد) صوتاً رخواً بينما عدّه المعاصرون شديداً مستندين في ذلك على كيفية نطقه المعاصر، وتبين من خلال الدراسة أنه صوت إعتاص على القدامى نطقاً، وعلى المعاصرين تمثلاً ، مع احتمال بقاء بعض صفاته في بعض اللهجات العربية المعاصرة .
3. عدّ اللغويين العرب القدامى صوت (العين) صوتاً متوسطاً بينما عدّه المعاصرون صوتاً رخواً، وبينت الدراسة ما صرح به المعاصرون من صعوبات تحيط بهذا الصوت، وإنّما دفع القدماء إلى عدّه متوسطاً ما فيه من قوة الوضوح السمعي التي يتميز بها، وبتطبيق نظريات علم الأصوات الأكوستيكي على صوت العين تبين أن له مميزات يتصف بها تجعله يتصف بالوضوح السمعي أكثر من غيره .

ثالثاً في الأصوات المتوسطة :

وعددها عند القدماء ثمانية أحرف مجموعة في قولهم (لم يروعنا) انقسم القدماء والمعاصرون تجاهها إلى أقسام عدّة، فمنهم من يحذف منها الألف والواو والياء من القدماء والمعاصرين، ومن المعاصرين من يرى حذف الألف فقط منها، ويرى بعضهم أن التوسط ليس بين الأصوات الشديدة والرخوة ولكنه بين الصوامت والصوائت، والنتيجة التي تمخضت عن ذلك أن السبب الذي جعل القدماء يضمون هذه الأصوات إلى الأصوات المتوسطة هو أنها يشترك جميعاً في قوة الإسماع وفي الجهر

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

1- ،سيبويه الكتاب ج4 ص574
2- ابن جني سر صناعة الإعراب ،ج1 ص68
3- ابن الجزري التمهيد في علم التجويد ، ص87
4- فندرس اللغة، ص47
5- دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة ،ص62
6- برتيل مالمبرج، الصوتيات ،ص 64
7- جان كانتينو، دروس في علم الأصوات العربية ص24
8- برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية ص8
9- ينظر ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1 ص202، والتمهيد في علم التجويد، ابن الجزري ص 87 والشيخ عبدالمجيد الخطيب ،عمدة المفيد في أصول التجويد ، ص20 وعبد الودود الزيادي مدخل إلى علم التجويد ص117 ومكي بن طالب ، الرعاية في تجويد القراءة ص94 ، ومن الدراسات الصوتية المعاصرة التي تناولت الأصوات في القراءات القرآنية ،القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ،د/عبد الصبور شاهين والأصوات في رواية حفص عن عاصم ،د/احمد مصطفى 38
10- ابن سينا أسباب حدوث الحروف، ص60

11- د. تمام حسان، اللغة العربية مناها ومبناها ،ص79
12- د. احمد مختار عمر ،دراسة الصوت اللغوي ص97
13- د. كمال محمد بشر الأصوات العربية ،ص100،118
14- د. عبدالقادر عبد الجليل الأصوات اللغوية ،ص143
15- ،محمد المنصف القماطي ، الأصوات ووظائفها ،ص51
16- د.آمنة بن مالك مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي، ص 299 (مخطوط)
17- د.تمام حسان اللغة العربية مغناها ومبناها ص 79
18- انظر فندرس ، اللغة ص50 ،كمال بشر الأصوات العربية ،ص125 ،الأصوات اللغوية ص145، مالمبرج الصوتيات ص 67
19- مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي (مخطوط) ص 297
20- ينظر ،د. محمد مصطفى رضوان نظرات في اللغة ص220
21- ينظر جون كانتينو، دروس في علم أصوات العربية ص24 وتمام حسان مناهج البحث في اللغة ص104 ود. محمد مصطفى رضوان نظرات في اللغة ص220
22- انظر ماريو باي ، أسس علم اللغة ص 85 و جون كانتينو، دروس في علم أصوات العربية ص24 ومالمبرج، الصوتيات ص 76، وفندريس ، اللغة ص50
23- الصورة من بحث للدكتور سليمان العاني مقدم لمؤتمر قسم اللغة العربية وآدابها ، الجامعة الأردنية ، في الفترة 61-2001/5/18
24- سيبويه ، الكتاب ج4 ص406
25- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين ج1 ص 57
26- ابن جني سر صناعة الإعراب، ج1 ص52 وانظر الزجاجي ،الجمل في النحو ص 410
27- ابن الجزري التمهيد في علم التجويد ،ص96
28- ينظر د.تمام حسان ،مناهج البحث في اللغة ص92، ود. عبدالقادر عبد الجليل ،الأصوات اللغوية ص164 ،ود. محمد رضوان ،نظرات في اللغة ص200
29- انظر د عبدالقادر عبد الجليل الأصوات اللغوية ص165، ود. محمد رضوان نظرات في اللغة ص201
30- محمد رضوان ،نظرات في اللغة ص202
31- انظر د. عبدالقادر عبد الجليل ،الأصوات اللغوية ص167
32- جان كانتينو دروس في علم الأصوات العربية ص41
33- ينظر جان كانتينو ،دروس في علم الأصوات العربية ص33
34- د. محمد رضوان، نظرات في اللغة ص202، ود. عبدالقادر عبد الجليل الأصوات اللغوية ص168، ود. كمال بشر الأصوات اللغوية ص49، برجستراسر ،التطور النحوي ص8
35- ابن يعيش شرح المصل ج10 ص219
36- عبدالقادر عبد الجليل ،الأصوات اللغوية ص164-173
37- برجستراسر ،التطور النحوي ص8
38- د.تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ص 121
39- د. محمد رضوان، نظرات في اللغة ص202
40- سيبويه الكتاب ،ج4 ص574
41- ابن جني سر صناعة ،الإعراب ،ج1 ص68
42- ينظر ابن الجزري ،التمهيد في علم التجويد، ص87 وابن الجزري، النشر في القراءات العشر ج1 ص202 عمدة المفيد في أصول التجويد ، الشيخ عبدالمجيد الخطيب ص 20 ومدخل ومدخل إلى علم التجويد عبد الودود الرازي ص117 ومكي بن طالب الرعاية في تجويد القراءة ، ص94 ود/ احمد مصطفى ، الأصوات في رواية حفص عن عاصم ، ص38
43- ابن سينا أسباب حدوث الحروف ص61
44- المرجع نفسه والصفحة ذاتها
45- ففندريس اللغة ص50
46- دي سوسير ، محاضرات في الألسنية العامة ص 63
47- ينظر جان كانتينو دروس في علم أصوات العربية ص24 وادوارد سابير، اللغة مقدمة في دراسة الكلام ص70، وبرتيل مالمبرج ،الصوتيات ص76
48- انظر سيبويه الكتاب ج4 ص574، وابن يعيش سرح المفصل ج10
49- ينظر د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ص79، ومناهج البحث في اللغة ص124، ود. عبدالقادر عبدالجليل ، الأصوات اللغوية ص150، ود. محمد رضوان ،نظرات في اللغة ص230، ود.احمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ص99
50- جان كانينو ،دروس في علم اصوات العربية ص36

51- د. عبدالقادر عبدالجليل، الأصوات اللغوية ص180-181 ،وانظر د. محمد رضوان ، نظرات في اللغة ص 216
52- أبو نصر الفارابي ، كتاب الموسيقى الكبير ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة
53- الفارابي ،كتاب الموسيقى الكبير ،ص1066
54- د. الهليس مقال ص19
55- نفسه ص19
56- الفارابي ،كتاب الموسيقى الكبير ص1067
57- د. عبدالقادر عبدالجليل، الأصوات اللغوية ص150-151
58- ابن جني سر صناعة الإعراب ص64
59- ينظر سيبويه الكتاب ج4 ص574-575
60- اين الجزري ،التمهيد في علم التجويد 88
61- عبد الودود الرازي مدخل إلى علم التجويد ص118 ،عبدالمجيد الخطيب ، عمد المفيد في أصول التجويد ص20-21
62- انظر عبدالقادر عبدالجليل، الأصوات اللغوية ص151
63- د. محمد رضوان نظرات في اللغة ص226 وانظر ابن جني ج1 ص22
64- انظر د. تمام حسان مناهج البحث في اللغة ص107
65- د.محمد رضوان نظرت في اللغة ص 227
66- انظر الفارابي ،كتاب الموسيقى الكبير ص1073
67- سيبويه الكتاب،ج4 ص574
68- مالمبرج الصوتيات ص68 وكمال بشر الأصوات العربية ص129 ،ود. محمد رضوان نظرات في اللغة ص224، عبدالقادر عبدالجليل الأصوات اللغوية ص146
69- ينظر سيبويه الكتاب ،ج4 ص574 عبدالمجيد الخطيب ، عمدة المفيد ص21
70- ينظر سيبويه الكتاب ، ج4ص575
71- انظر عبدالقادر عبدالجليل ،الأصوات اللغوية ص146 ود. محمد رضوان نظرات في اللغة ص223 وانظر ، ود. تمام حسان مناهج البحث في اللغة ص110
72- سيبويه الكاب ،ج4 ص575.

المراجع

2- آمنة بنت مالك، مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي، صوت 299 (مخطوط).
3- ابن سينا أسباب حدوث الحروف .
4- أبو الفتح بن جني، سر صناعة الإعراب ، تحقيق لجنة من الأساتذة مصطفى السقا وآخرون ، دار المعارف العمانية ... " ط " 1 سنة 1954 م .
5- أبوالقاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي، الجمل في النحو، صنعه وحققه وقدم لم د.علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ط 1 سنة 1974 م.
6- أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، حققه وقدم له وعلق عليه، محسن مهدي دار النشر بيروت 1969
7- أبو نصر محمد بن محمد طرخان الفارابي، كتاب الموسيقي الكبير ، تحقيق غطاس بن الملك خشبة ود. محمود امح الحنفي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة.
8- احمد مختار عمر دراسة الصوت اللغوي، جامعة الكويت،"ط"1 سنة1976
9- برتيل مالمبرج، الصوتيات، ترجمة محمد حلمي خليل ، معهد الخرطوم الدولي اللغة العربية المنظمة العربية للتربية للعلوم والثقافة،"ط"1 سنة1985
10- برجستراسر التطور النحو للغة العربية ((سلسة محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية))، طبعة السماحة مصر سنة 1929
11- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتب الأنجلو المصرية ط سنة 1955 م
12- تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها ،، الهيئة المصرية للكتاب " ط " 3 سنة 1985.
13- جان كانتينو ، دروس في علم أصوات العربية ، ترجمة صالح القرمادي الجامعة التونسية مركز الأبحاث الاقتصادية "ط" 1 سنة 1966
14- ج فندريس اللغة تعريب عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص
15- الخليل بن احمد الفراهيدي كتاب العين ،، تحقيق ، د . مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السمرائي ط دار مكتبة الهلال .
16- دي سوسير محاضرات في الألسنية العامة ، ترجمة يوسف غازي ، ومجيد النصر دار النعمان لبنان "ط"1سنة 1984م
17- سيبويه (الكتاب) علق عيه ووضع حواشيه وفهرسه د/ أميل بديع يعقوب ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ،"ط" سنة 1999م
18- عبدالجليل عبدالقادر ،الأصوات اللغوية ، دار الصفاء للنشر والتوزيع عمان الأردن ط (1) سنة 1998م
19- عبد المجيد الخطيب عمدة المفيد في أصول التجويد ط(1)سنة 1977م
20- كمال محمد بشر الأصوات العربية ،، مكتب الشباب "ط" سنة 1987م
21- ماريو باي أسس علم اللغة ، ترجمة : أحمد مختار عمر عالم الكتب ط"3" القاهرة سنة 1987م

22- محمد بن محمد الجزري، التمهيد في عالم التجويد ، تحقيق علي حسن البواب مكتبة، الرياض "ط" 1 سنة 1985م
23- محمد عبدالقادر عبدالجليل الأصوات اللغوية، دار الصفاء للنشر عمان ط(1) سنة 19948م
24- محمد مصطفى رضوان دار الحقيقة بنغازي ليبيا ط(1) سنة 1976م .
25- محمد المنصف القماطي، الأصوات ووظائفها ، منشورات جامعة الفاتح ليبيا ،ط"1" سنة 1986م
26- د يوسف الهليس، بحث بعنوان فضل علماء المسلمين في علم الصوتيات الموجي والسمعي (مخطوط)
27- د سليمان العاني، بحث بعنوان ، الخصائص الطيفية للنظام الصوتي في اللغة العربية ، مقدم لمؤتمر قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، في الفترة من 16 إلى 2001/5/18